في الايمان » الى صفات اخرى عديدة يطول هنا شرحها مع انهم جميعاً كانوا من معاصريه يعرفون سيرتهُ حقّ المعرفة . وزدْ اليهم شهادات المؤرّخين سقراط وسوزومين وغيرهما كنيقيفوروس كالستس . أفتنسب الى كلّ هؤلاء الكذب وتصدق بعض اقاويل مزوّرة تلاعب فيها الاريوسيُّون اي تلاعب . معاذ الله

فما قول الخصوم عن كل ذلك . وما لهم يتقاون شهادات ليس فيها من الصحة شيء البتّة رغبةً في التشفي من كنيسة شقُّوا عصاها وجحدوا ايمانها . أفليس اولى بهؤلاء الكتبة ان يستضيئوا بنار الحقّ وينهجوا سبيل العدل ؟

لا قيس ولا ناوفيل

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

انّ الانتقاد التاريخي لمن افضل الطُّرق التي تبلّغ بالمرء الى معرفة الحقيقة وتصرفهُ عن محجّة الضلال : وعليهِ فاننّا في مسألة القطعة السريانيّة المثبتة في العدد السادس (ص ٣٦٧) والوارد فيها ذكر الموارنة فتحنا مجالاً تجري فيهِ اقلام المنتقدين . فنشرنا في ذلك مقالتين حسنتين لحضرة الاب لامنس وللاديب بشارة الشمالي . وهاك اليوم نبذة ثالثة نثبتها هنا فلعلَّ فيها صواباً (المشرق)

من الحقائق التي « يقرُّ بها كل ذي إلمام بالتاريخ ان صروف الزمان ونوازلهُ غصبت اموراً كثيرة من تواريخ المشرق » (١ فكلُّ من سعى وراء حلّ المشاكل التاريخية الشرقيّة صارفاً جهدَهُ في هتك ما ارخى عليها ليل الغيب من سدول الظلام مشمّراً عن ساعد الهمّة ليكشف شيئاً فشيئاً ولو بعض اطراف الحجاب عن يقين الحوادث احرز لنفسهِ ولا ريب الثناء الحسن والشكران الجميل . وعليهِ فمن صميم الفؤاد نقدم فروض التهنئة اولاً لحضرة الاب لامنس ثمّ للشاب الاديب بشارة الشمالي طالب اللاهوت في كليّتنا على ما ابديا من الاهتمام والعلم ودقّة التنقيب في مسألة قيس الماروني وناوفيل الرهاوي . فكأنّي بهذه البواكير التاريخية تفتح الطريق التي اشار اليها حضرة الاب المذكور في نبذةٍ خطيرة نوصي قرّاءنا الافاضل بمراجعتها في هذه المجلة (١ : ٢٦١) (٢

١) طالع « روح الردود » للحبر العلامة المطران يوسف الدبس ص ١٨١

٢) أخبرنا ان السيد العلّامة والحبر الفهامة مار الياس بطرس الحويك الذي ما فتىء منذ ارتقائهِ الى السدّة البطريركية الماروية يتفانى في اعلاء شان طائفتهِ العزيزة طلب نسخة كاملة من القطع التاريخية المهمّة التي نشرت منها مجلتنا بعض الاسطر . وقد نُسخت بتمامها وأُرسلت الى المقام

وربَّ مستغربٍ يستغرب عنوان هذه المقالة فيعزونا الى بعض الفضول اذ يظهر لاوَّل طرفة انَّ غرضنا دحض الرأيين بالسواء. فنجيب قائلين بكل سذاجة القلب وخلوص النيَّة ان الادلَّة التي اوردها كلا الفريقين لا تراها وافية بالمقصود. ولمَّا كان لهذا الموضوع اهمية معتبرة لمعرفة تواريخ المشرق احببنا ان نبسط هنا ما خطر ببالنا بعد امعان النظر والبحث الدقيق

١

فلنبتدئ بقيس الماروني المذكور في كتاب التنبيه للمسعودي. نقول: اننا نستصوب رأي الشاب الاديب ب. الشمالي ونوافقهُ على قولهِ عن الفقَر التاريخية المنسوبة الى قيس الماروني. ولمزيد الايضاح رأينا ان نعود الى المسألة فنعرض البراهين على هيئةٍ جديدةٍ

نقول اولًا: انَّهُ يصعب اثبات فهم المسعودي للغة السريانيَّة فلو عرف هذا الكاتب تلك اللسان لما ضرب صفحًا عن تاريخ ثاوفيل بن توما الماروني الرهاوي الذي استشهد بهِ ابن العبري واعتبرهُ بمنزلة كتابٍ حسنٍ بل مشهورٍ في الانحاء الشرقيَّة كما سترى

لاسيما انَّ ثاوفيل المذكور كان «رئيس منجمي المهدي» يدخل على الخلفاء ويخدمهم بعلومهِ. فكيف نسلِّم انَّ المسعودي جهل بهِ وهو يعرف تاريخ قيس الماروني الذي لم يَزَ ذكرهُ في كتابٍ من تآليف القدماء وكان دون ثاوفيل شهرة

فبكل صوابٍ اذن نستنتج من قول المسعودي «انَّهُ لم يرَ للمارونيَّة في هذا المعنى كتابًا مؤلفًا غيرهُ» النتائج الآتية: «اولًا ان المسعودي قرأ تاريخ قيس في العربيَّة. ثانيًا ان تاريخ ثاوفيل الرهاوي لم يُترجَم الى العربية. وثالثًا ان التاريخ المجهول المؤلف الذي بقيت لنا منهُ بعض الصحف لم يُنقل ايضًا الى العربية وبالتالي انَّهُ لم يقع قط في ايدي المسعودي او اذا وقع في ايديهِ لم يطَّلع على فحواهُ

نقول ثانيًا: لا تصحُّ نسبة المقاطيع السريانيَّة التي نحن بصددها الى قيس الماروني

البطريركي لتوضع في المكتبة الكبيرة فتكون شاهدًا جديدًا على عناية رؤساء الموارنة الاعظمين وبرهانًا ناطقًا على تقدُّم ملَّتهم الجليلة عن اضاليل الباقية. فيا ليتنا نرى مواطنينا من الطوائف الشرقية على اختلافها يقتفون هذه المعالم الحسنة فيجمعون مثل هذه الآثار (وهي دون ريب كثيرة في مكاتب البلاد) ويرسلوها او يرسلوا نسخها الى مكتبة بطريركياتهم العمومية حيث يراجعها بسهولة كل من تفرَّغ للدروس التاريخية الشرقية لاسيما للابحاث المتعلقة بملتهِ الخصوصية. وفي ذلك كما لا يخفى خدمة حقيقية للديانة والعلم والوطن

الّا بشرط ان يكون فيها ما يُستدلُّ بهِ على خلافة المكتفي الذي بويع لهُ سنة ٢٨٩ﻫ (٩٠٢ م) او أننا نجد في هذه القطع التي لم تمسَّها يد الضياع ما نتحقّق بهِ صحّة قول المسعودي في ان قيس انتهى الى زمن هذا الخليفة

لكن اين البرهان او الدلالة على ذلك اذ لا يتجاوز مضمون تلك الصُحف ايّام معاوية الذي توفي سنة ٦٠ ﻫ (٦٨٠ م) وليس فيها ادنى دليل على ان التأليف الاصلي التامّ كان يشمل كلّ اخبار بني أميّة او قسماً من تواريخ العبّاسيين

وزد عليهِ انّ الصحُف الباقية ليست من المجلد الاصلي بل هي نسخة غير مُتقنة نقلها النسّاخ فشوهوها ببعض الاغلاط. فان كان على رأيي رأيت (ولهُ في معرفة الخطوط السريانيّة اليد الطولى) لا يجوز نسبة خط القطع المذكورة الى ما وراء القرن التاسع فليس لنا ان نعيّن تاريخ السنة التي بها رُضع التأليف الاصلي. كما انّهُ لا يسوغ القول بان التاريخ المومأ اليهِ كان يمتدُّ وجوباً حتى مطلع القرن العاشر

فمن ثمَّ نقول بالاجمال ان نسبة الصحائف السريانيّة المجهول صاحبها لا يمكن ان تُعزى الى قيس الماروني الّا بعد حلّ مشاكل قويّة

على أنّنا لا نجهل أنّ الاب لامنس لم يقصد من تدوين رأيهِ الّا ايراد حدس فجلّ ما توخّاهُ من مقالتهِ المفيدة استلفات الافكار الى تلك البقايا التاريخية الجديرة باعتبار كل مواطنينا من الشرقيين

٢

ولنبحث الآن عن ثاوفيل الرهاوي. قد ورد في تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس ابن العبري (طبعة الاب صالحاني ٢١٩ — ٢٢٠) وفي تاريخهِ السرياني الذي عنوانهُ: ﻫﺪﻭﻁ ﻭﻣﺤﻬﺪﻭﻁﻐﻤﺎ ﺃﺣﺪﺍ (طبعة باريس ص ١٢٧) انّ ذلك المؤلف الشهير توفي قبل المهدي بعشرين يوماً اي في بعض اشهر سنة ١٦٩ ﻫ (٧٨٥ م). فان كان شيء من الصحة في ما ارتآهُ البلاّمة رأيت بقولهِ: «ان القطع التي نبحث عنها يمكن ان تنسب الى كاتب من كتبة القرن الثامن» فمن المحتمل ان التاريخ المفقود قد وضعتهُ يد ثاوفيل بن توما الماروني

ومما يزيد هذا الرأي رجحاناً ما ورد في نفس الموضع المذكور من تاريخ ابن العبري السرياني اذ يقول فيهِ ما حرفهُ (ص ١٢٦ — ١٢٧):

حهُنا أحنا هُهُبِّه أُهُفُلا حُنا أُهُهُـــا
اهُوهُنا : حُحنا أحهُهُهُنا هُهُنا : وُنفُف
حهُوُهُف (١ وهُـــوُهُنا . هُلهُ حُه حهُفا
وهُحهُف أحنا اهُهُنا حهُهُوُنا هُ : هُافي هُهُنا
حُه هُهُحُنا حُهُوُبِّه هُهُحُنا (ص١٢٦-١٢٧)

« وفي هذا الزمان (اي زمن المهدي) اشتهر ثاوفيل بن توما الرهاوي المنجم الماهر الذي كان يتبع مذهب الموارنة . ولهُ في التواريخ كتابٌ بالسريانيَّة وهو تأليف جليل وان طعن فيهِ على مستقيمي الايمان وقرَّفهم (يعني اليعاقبة) »

فكأنَّ بين القطع التاريخية التي نشرها العلامة نلدك والدلائل الواردة في تاريخ ابن العبري اتفاقًا ذا شان بل مطابقة تامة توجب على كل ذي عقل ان ينسب تلك القطع الى ثاوفيل دون تردُّد ولا شكّ

على ان ذلك الاحتمال الظاهر الذي بدا لنا لاوَّل وهلة وقبل قراءتنا للسمة الشاب الاديب بشاره الشمالي زال عن خاطرنا بعد ان بحثنا عن المسألة باطالة التنقيب . لا بل تحقَّقنا انَّ في القليل النَّزر الذي ورد في كتب ابن العبري عن سيرة ثاوفيل الرهاوي وآدابهِ دلائل وضعيَّة واضحة تفنِّد الراي الثاني وتنفي عنهُ الترجيح اشدّ من الراي الاوَّل

فنقول اولًا : لسنا نعرف بالتفصيل مضمون كتاب ثاوفيل في التاريخ(٢ . واماَّ كونهُ خطَّأ اليعاقبة وزيَّف طريقتهم الدينيَّة ليس ذلك دليلًا قاطعًا على ان تاريخهُ كان يمتدّ الى ايام معاوية لانَّهُ امكن ثاوفيل ان يذكر اليعاقبة ويردّ على آرائهم الفاسدة في بعض فصول تاريخهِ عند ذكرهِ مثلًا اخبار المجمع الخلقيدوني او سيرة يعقوب البرادعي الذي يُنسب اليهِ اليعاقبة . بل يُحتمل ايضًا انَّهُ ناقض النحلة اليعقوبيَّة في مقدَّمة كتابهِ . ولعلَّهُ الَّف قسمًا من كتابهِ لبيان صحَّة مذهب امَّتهِ وفساد اقوال اليعاقبة مستندًا الى آيات الاسفار المقدَّسة ونصوص الآباء . فكيف لذن يستنتج العاقل بعد كل ذلك انَّ القطع التي نحن بصددها من وَضع ثاوفيل لانَّهُ جاء فيها ذكر معاوية وجدال الموارنة واليعاقبة . فانَّ النتيجة لا تلزم

واذا سلَّمنا بان تاريخ ثاوفيل ذكر اليعاقبة والموارنة في ايَّام معاوية أفينتج عن ذلك انَّهُ هو صاحب القطع السريانيَّة المجهول . لا لعمري بل امكن كاتبين ان يرويا الاخبار

١) لا ينسَ القراء انَّ ابن العبري كان يعقوبيًا فينسب لذلك مذهب الموارنة بالمرطقة

٢) ولعلَّهُ اعتنى خصوصًا بتبيين السنين ومقابلة تقاويم التواريخ ولا عجب من ذلك اذ كان رئيس منجمي المهدي

عينها بتفاصيل مختلفة. وما ادرانا ايضاً ان مؤلف القطع الباقية لم يلخّص تاريخ تاوفيل او يتصرّف فيه او ينقلهُ بحرفهِ لاسيما في ما يختصّ بطائفتهِ الى غير ذلك من الاحداس التي لا سند لها فيمكن اثباتها او نفيها طالما تُخرَم برهاناً قطعياً يزيل عنّا كلّ شبهة في الامر

وعلى كلٍّ فالراي السديد لا بُدَّ لهُ من اساس متين. والحال ان القليل الذي حصلنا على معرفتهِ من مضمون تاريخ تاوفيل ليس من شأنهِ ان يقطع بصحّة قول الكاتب الاديب بشارة الشالي. فاذاً . . .

نقول ثانياً: لا يُسلَّم بالتدقيق مسقط رأس تاوفيل الماروني. على ان في تلقيبهِ بالرهاوي دلالةً صريحة لا يجوز الضرب عنها. فان لم يولد في الرها. فالظاهر انهُ سكن هذه المدينة مدةً معتبرةً من حياتهِ. وان زدت على ذلك انهُ قد صار وهو مارونيٌّ رئيسَ منجمي المهدي ببغداد لا بُدَّ لك من الاستنتاج انهُ قضى معظم حياتهِ خارجاً عن اقطار فلسطين ولبنان اي في انحاء الجزيرة والعراق. فان ثبت ذلك ولا اظنّ احداً يرفض التسليم بهِ فكيف يجوز لك ارشدك الله ان تنسب تلك القطع الى تاوفيل الرهاوي اذ هي مملوءة من التفاصيل التي تدلُّ دلالةً واضحة على ان مؤلفها كان من جملة اهالي بلاد فلسطين لا من انحاء ما بين النهرين. ولا حاجة الى الاطالة في هذا الموضوع لان كل من يطالع الصحف التي نحن بصددها يرى المصنف يتوسّع في ايراد اخبار فلسطين لاسيما في ذكر الزلازل التي أخربت كنائس اريحة وعدّة اديرة مشهورة من الاديرة المجاورة لاورشليم. فاذا كان (على قول المحرر الاديب نفسهِ): «التدقيق في ذكر الاضرار التي تحدث في بلدٍ دأب الرواة المعاصرين للحوادث التي يوردونها او المقاربين لها» فكم بالحري يجب القول بان المؤلف كان من قطّان ذلك البلد اي من ناحية من نواحي فلسطين (١

ومما يؤيّد صحّة قولنا كثرة ما وقع في كتابتهِ للالفاظ السريانيّة من النقط الزائدة لاسيما في الدلالة على الجمع. وهذه الزيادة على ما اثبتهُ العلاّمة نُلدك منذ امدٍ بعيد

(١ راجع ايضاً ما اخبرهُ عن معاوية بعد ان بايعهُ العرب في القدس الشريف (ZDMG 1875, p. 90) فترى من هذه الامثلة ان الكاتب مولع بذكر احوال وطنهِ والتفاصيل الدقيقة المتعلّقة ببلاد فلسطين والاماكن المقدسة

(ZDMG, XXII, 453) دأب الكتبة من نصارى فلسطين. مثال ذلك حذفهم و حصرهم الى غيرها من الاسماء والافعال التي لا تقبل نقط الجمع في السريانيَّة الفصيحة. ولا ننكر ان هذه الزيادة او هذه الاغلاط قد اتى بعضها من غفلة الناسخ. على ان ذلك لا ينفي قولنا ان الكتاب الاصلي هو من قلم احد سكان فلسطين لا من مؤلفات اهل الرها او بغداد. لاسيما وان ثاوفيل الرهاوي الماروني قد اشتهر بمعرفة اللغة السريانيَّة الفصيحة فضلاً عن معرفته لليونانيَّة. ثمَّ اننا لا نجد في هذه القطع القلائل شاهداً بيّناً على فصاحة كاتبها وبلاغته. فكيف يسوغ لنا ان ننسبها الى بعض ائمَّة السريانيَّة كثاوفيل الذي وحده بين الكتَّاب السريان تجاسر و « نقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانيَّة الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة » (مختصر الدول ص ٢٢٠) (١

ومما يجدر بالملاحظة انَّ العلامة نُلدكه الذي له طول الباع في آداب السريان يرتأي ان المؤلف المفقود اسمهُ مع معظم تاريخهِ كان راهباً او ناسكاً. ولا يخلو هذا القول من بعض الصحَّة لكثرة ما ورد في القطع من اسماء الاديرة والمناسك. فشتَّان بين مثل هذا الرجل وثاوفيل الرهاوي منجم الخلفاء.

ونقول ثالثاً واخيراً: ان المحرر الفاضل قد اعتمد على البرهان الآتي في توطيد رأيهِ. قال: « ويزيد في ترجيح هذا المقال ما جاء في هذه الفقرات من التدقيق في ذكر الاضرار التي حدثت عن زلزلتين جرتا في ايام معاوية وهو (اي المؤلف) يعيّن حتى ساعة حدوثها وغير ذلك من التفاصيل دأب الرواة المعاصرين للحوادث التي يوردونها

---

١). قد نسب بعض العلماء الى ثاوفيل اختراع الحركات الثانية لدى السريان الغربيين وهذا زعم غير مبنيّ على سند ولا شهادة واضحة كما بيَّن ذلك الطيّب الذكر المطران يوسف داود في مقدّمة كتابهِ اللمعة الشهيَّة. اما العلَّامة الكردينال ويزمان فقد اشار في تأليف لهُ (*Horæ Syriacæ*, 181 - 8) ان الارجح في هذه المسألة ان يعقوب الرهاوي الكاتب المشهور والنحوي الطائر الصيت المتوفَّى سنة ٧٠٨ هو الذي استخرج تلك الحركات من حروف اليونان (راجع ايضاً كتاب رَيْت في آداب السريان (*Syriac Literature* p. 152, 164) وتأليف العلَّامة دوفال (*La Littérature Syriaque*, Paris 1899, p. 384, 325, 262, 214) وعلى كل حال فمما لا مرية فيهِ ان ثاوفيل يُحسب من ابلغ كتبة السريان الغربيين. غير انهُ لم يتصل الينا من تصانيفهِ الَّا القدر القليل (راجع المشرق ١ : ١٠٠٧)

او المقاربين لها » اه بحرفه الواحد. على ان هذا البرهان وَهِن لا يفي بالمرام. فانهُ ليس فقط المؤرخون المعاصرون للحوادث او المقاربون لها الذين يأتون بتفاصيل اخبار بلادهم وذكر الدقائق التاريخية بل ايضاً الذين يسطِّرون ما جرى بعدهم بزمن مديد. واليك برهاناً واحداً يكفي لتفنيد زعم صاحب النبذة وقد اخذناهُ عن تاريخ كاتب يعقوبي مجهول اسمهُ من سكان حرّان او الرها. وتاريخهُ يمتدُّ الى سنة ٨٤٦ المسيح (١ وانّما فضّلنا ادراج هذه الفقرة على سواها لعظيم اهمّيتها في تواريخ المشرق ولأنها على مثال الاسطر التي نشرها حضرة الاب لامنس شاهدٌ جديدٌ جليٌّ على سوء وهم الذين يخلطون طائفة المؤارنة باشياع يعقوب الهرطوقي قال المؤلف :

« وبعد ان ملك افيماروس (٢ ثلاث سنين رجع يستنيانس من الجلاء في عسكر عظيم وقتل جميع امراء الروم. فقاموا عليهِ وقتلوهُ وابنهُ طيباريوس. وملّكوا عليهم فيليبيقوس سنة واحدة ونصفاً (٣ ولانَّ هذا اراد ان يؤلف جمعاً ليقيم هرطقة المؤارنة (٤ قام عليهِ الروم وقتأوا عينيهِ وملّكوا عليهم انسطاس. فملك ثلاث سنين (٥ خلعوهُ وملّكوا تاودوسيوس (٦. وبعد سنتين عزلوهُ وملّكوا عليهم لاون (٧

واما قبل ذلك ففي ايّام يستنيانس وقسطنطينوس (٨ التي فيها قامت هرطقة المؤارنة

١) راجع نصهُ الكامل في المجلة الالمانية (ZMDG, 1897, p. 267) ففيها نُشر لاول مرّة بعناية مستر بروكس (E. W. Brooks)

٢) يريد بهِ طيباريوس الثالث ملك الروم الملقّب ابسيماروس. والصواب انهُ ملك سبع سنين من ٦٩٨ الى ٧٠٥. وفي هذه السنة الاخيرة رجع يستنيانس الثاني الملقّب بالاخرم وقد نفي بعد ان جُدع انفهُ سنة ٦٩٥

٣) ملك سنة واحدة ٧١٢ التي بها قُتل يستنيانس الاخرم وابنهُ الى اوائل سنة ٧١٣

٤) لا تنسَ ان الكاتب يعقوبي. ولعلهُ اراد بكلمة ومصمم « يؤيد او يُحيي » كما هو ظاهر من الاسطر التالية

٥) يعني من سنة ٧١٣ الى سنة ٧١٦. وهو انسطاس الثاني ٦) اي الثالث

٧) وهو لاون الثالث الملقّب الايزوري (٧١٧ – ٧٤١)

٨) وهو قسطنطينوس الثالث المعروف بالجباني (٦٦٨ – ٦٨٥) وخلفه يستنيانس الاخرم

[illegible]	(على زعمه) في سنة ٩٩٠ (١ في الثلاثين من شهر
[illegible]	نيسان (٢ في يوم الاحد للآلام في الساعة الثالثة
[illegible]	حدث زلزال عظيم خربت في اثنائه بطنة
[illegible]	مروج وكنيسة الرهاء القديمة ومات جمّ
[illegible]	غفير من الناس »

فمن هذا النصّ يظهر ظهور الشمس انّ كاتباً عاش في القرن التاسع (او اوائل العاشر لان تاريخ الفراغ من التأليف ليس برسوم في ذيل الكتاب) عيّن حتى ساعة حدوث زلزلة وقعت بوطنه في مطاوي القرن السابع اي قبل ايّام الكاتب بمدّة قرنين او اكثر

فاذًا جلُّ ما يُستنتَج من مثل هذه المظاهر الكتابيّة انّما هو انّ المؤرخين عادةً يطلقون العنان لاقلامهم كلّما اقبلوا على إخبار حوادث بلادهم الخصوصية. ولا غروَ فانّ ذلك امرٌ طبيعيّ مؤسّس على حبّ الوطن لاسيما في قلوب كتبة السريان لاسباب غير خافية. وهم في بعض الاحيان يتقطفون تفاصيل رواياتهم عن كتب سلفائهم من الرواة غير مبالين بذكر المصادر التي رووا عنها ولا مكترثين لقواعد التنقيب عند ادراج اوهام الاقدمين في مجموعاتهم او ملخّصاتهم. مثال ذلك ما اشرنا اليه من الاغلاط في الاسطر التي اوردناها قبيل ذلك وكذا قل عن الصحف التي أُريد نسبتها الى قيس او ثاوفيل وقد اتى فيها اغلاط تاريخيّة طفيفة ذكرها العلاّمة نلدك في مقدمته للنص السرياني. وهذا لعمر الحق برهان جديد على انّ مؤلف تلك الصحف لا يمكن ان يكون ثاوفيل المنجم الذي اتقن تعيين تواريخ السنين كما هو بيّن من كلام ابن العبري واستشهاده بتاريخه اكثر من مرّة

وفي الختام نكرّر لمن سبقنا الى هذا البحث التاريخي عبارات التهنئة الخالصة والشكران الحسن

وان سألنا احدٌ قائلاً: فمن يا ترى مؤلف تلك القطع المهمة قلنا لهُ « لا قيس ولا ثاوفيل » وهذا حسبنا وليس في الاقرار بعدم المعرفة عيب وملامة. والحقُّ يقال ان الآثار

---

١) اي من تاريخ الاسكندر وهي سنة ٦٧٨ — ٦٧٩ للمسيح

٢) والصواب « الثالث من النيسان » كما ورد في تاريخ ديونيسوس التلمحري (راجع كتابهُ في طبعة الاب شابو حيث تُقرأ نفس هذه الكلمات في وصف الزلزلة. وراجع ايضاً المشرق ٢ : ٢٧٨)

التي بحثنا عن مؤلفها قليلة جدًّا فلا تكفي لاثبات رأي من الآراء. ولعلّنا سنجد شيئاً من المساعدة لحلّ هذا المشكل في تأليف الخوري المستشرق نو (Nau) الذي عنوانهُ: *Les Œuvres de Jean Maron*, etc., *Leroux*, Paris وهو تحت الطبع كما اثبتهُ المؤلف نفسهُ في العدد الاخير من المجلّة الاسيويّة الباريسية (J. A. 1899, *p.* 50) وقال ايضاً: « انهُ باشر بنشر جميع القطع التاريخيّة السريانيّة التي لم يطبع منها العلامة تلدك الّا الثلاثة الاخيرة وجملتها ١٥ صحيفة ». ومن المنتظر ايضاً ان يكون لهذا الكتاب اهميّة كبيرة في مسألة اصل الأمة المارونيّة واول احوالها

ذيل

ولنا نختم هذه المقالة دون ان نقترح على الكاتب الفاضل سؤالاً نطلب منهُ الجواب عنهُ وهو لا يخلو من بعض الاهميّة كما سترى. فنقول: كيف يجوز القول (دون زيادة ولا تفسير) « انّ الموارنة كانوا يُعرَفون باسحاب مارون قبل البطريرك يوحنا مارون » وقد ورد في سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للعلامة البطريرك اسطفان الدويهي (راجع المشرق ١ : ٣٥١) انّ الموارنة « من يوحنا مارون تسمّوا موارنة » وكذلك باجلى عبارة واوضح دليل في تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩٥ وحاشية ٢) وفي المكتبة الشرقيّة للسمعاني (الجزء الاوّل ص ٥٠٧) أفيليق بنا ان ننسب الى الوهم او الجهل ما ارتآهُ من احرز في تواريخ الامة المارونيّة قصب السبق والسهم المعلّى

ومما لا يُبقي ادنى ريب في صحّة قول العلّامة الدويهي ما ورد في كتاب التنبيه للمسعودي (في عين الموضع الذي تكلّم فيه عن قيس المارونى) اذ يقول فيهِ مثل قول الدويهي فيضيف ما نصّهُ: « واليهِ تنسب المارونية من النصارى الى هذا الوقت المؤرخ بهِ كتابنا وامرهم مشهور بالشام وغيرها الخ ». . . ولا يخفى ان المسعودي دوّن هذه الاسطر في النصف الاوّل من القرن العاشر. ولنا نقول انهُ استوعب البحث عن اخبار الأمّة المارونية ولكن يا ترى هل تحسب هذا الاتفاق التامّ من الامور العرضية ؟

ولا نظنّ ان البرهان الذي اتبعهُ الكاتب الاديب لتأييد زعمٍ كافٍ لدحض رأي الدويهي. فانهُ على افتراض ان مؤلف القطع التي نحن بصددها هو ثاوفيل لا بد ان تكون تسمية الموارنة الواردة فيها قد كُتبت بعد رسامة البطريرك مار يوحنا مارون بنحو نصف قرن لانهُ من المقرّر انّ ارتقاءهُ الى كرسي البطريركية وقع سنة ٦٨٥ وان ثاوفيل توفّي في بعض اشهر سنة ٧٨٥. ففي هذه المدة الطويلة كفاية ظاهرة لاتخاذ امّة الموارنة اسم بطريركهم كما اثبتهُ الدويهي في المواضع المذكورة آنفاً. ويجوز القول ايضاً انّ صاحب القطع التوّه بما سبق فدعا الموارنة بهذا الاسم سلفاً وهكذا فعل ايضاً المؤرخ اليعقوبي الذي نقلنا عنهُ في الصفحات السابقة (١

١) وكذلك لم يُلقّب معاوية خليفةً في مقالة حضرة الاب لامنس (ص ٣٦٦) الّا بقطع النظر عن تاريخ مبايعتهِ

ان زعم مثل هذا الزعم تجاوز حدّ القياس الشرعي لسبب استخراجه نتيجة اعظم من مضمون المقدّمات. فكان الاحرى بالكاتب الاديب ان يبرهن رأيهُ ببراهين اخرى اقوى او ان يأتي على توطيده ببعض التعبير فيفرز مثلاً بين ابرهبان الاقدمين المتمين الى دير مار مارون الناسك وبين القوم الذين اتخذوا لانفسهم تسمية الموارنة في كرور الايام. الّا ان المسألة ليست بجليّة والبحث فيها ينتفي لا تسويد بعض الاسطر بل التعمّق في درس التواريخ وتدوين المقالات الطوال كما فعل العلّامة الدويهي

وعلى كل حال فلا نرى حاجة الى الاعراض عن راي هذا المؤرخ الشهير. وهذا اقرب الى الصواب وابعد من الشبهات

السوسن

للاب بولس ماترن البسوعي

المراد بالسوسن ما يدعوهُ اهل الشام بالزّنبق وهو نبات شاع في هذه البلاد فسقطت محاسنهُ في عيون اهلها جرياً على قول المثل انّ الشيء اذا كثر ذلّ

وما احقّ هذا الزهر بان يُعلى مقامهُ ويُرفع شأنهُ وهو سيّد المُلك النباتي كما وصفهُ العلّامة الشهير لينّاي (Linné). ولعمري انّ للسوسن خواصّ توّهلهُ بهذا الوصف ألا تراهُ كيف يميس فوق ساقهِ وينتصب متبخطرًا تُحدق بهِ اوراق شديدة الخضرة ناعمة حسنة الشكل وتكلّلهُ زهرةٌ ساطعة البياض على هيئة كأس تخرجُ من وسطهِ سهامٌ ذهبيّة صفراء. امّا رائحتهُ فانّها تعطّر الارجاء بطيب شذاها. فهذه الصفات التي حملت كثيرًا من ارباب الفلاحة واهل البساتين على ان يهتمّوا بزراعة السوسن ويجعلوا لهُ الرتبة الاولى في مصافّ الزهور. فصار الآن ينمو زاهياً في اكثر البلاد بعد ان كان منحصرًا في بعضها

ومن عجيب امر السوسن انهُ كان معدودًا منذ بضعة سنين بين زهور البساتين فقط ولم يعرف النباتيّون انّهُ من الاعشاب البرّيّة التي تنبت طوعًا في الجبال. ومن نتائج وَهمهم هذا انّهم اعتدّوا السوسن المذكور في الكتب المقدّسة وفي كتب الاقدمين غير السوسن الابيض

على انّ المحدثين من اهل البحث تثبّتوا الامر في هذه السنين الاخيرة فتحقّقوا